الأنكلشة:

ما أجمل أن يتقن الإنسان كل لغات العالم وما أسوأ أن يجهل لغته

خالد مصطفى Khaled Moustafa

محرر الأرشيف العربي العلمي Editor of Arabic Science Archive

البريد الإلكتروني: khaled.moustafa@arabixiv.org Email:

ملخص

تحرص الأمم التي تسعى إلى ترك بصمة قوية في التاريخ الإنساني إلى الاعتراف بإرثها العلمي والفكري واللغوي، والحفاظ على لغاتها، وجعلها لغة التداول الرسمية في الأوساط العلمية والإدارية والتعليمية، والترويج لها في المحافل الدولية. إلا أن العرب هم إحدى الأمم المتضرعة، التي لم تفلح لا باعتمادها اللغة الإنكليزية ولا بالحفاظ على لغتها، فنشأت ظاهرة غريبة يمكن تسميتها "الأنكلشة" أو "التأنكلش"، التي يدعو أصحابها إلى هجر اللغة العربية واعتماد اللغة الإنكليزية في المؤسسات العلمية والتعليمية على حساب اللغة العربية، بذرائع غير موضوعية، وادعاءات خاطئة لا تراعي أهمية التنوع اللغوي كإرث إنساني عالمي ومرونة كل اللغات وقدرتها على استيعاب مصطلحات جديدة. إذ ليس هناك لغة أكثر علمية من أخرى، وإنما الاهتمام والعناية والعمل والنشاط العلمي والتطوير والاختراع والنحت والاشتقاق اللغوي هي ما تجعل لغة ما تبدو أكثر "علمية" من لغة أخرى. فعندما يكون أهل اللغة نشطاء علمياً واقتصادياً وفكرياً، وحريصين عليها لغوياً، فإن لغتهم ستكون لغة علمية وأدبية وتدرسية وتواصلية. ولا أحد ينكر أهمية الإنكليزية كلغة عالمية "جسرية" أو "قنطرية" للعلم والتقنية والتواصل، وضرورة إتقانها ومعرفتها أمر مفروغ منه، ولكن هناك فرق شاسع بين إتقان لغة، وبين استبدالها بلغة أخرى، خاصة في الوسط العلمي والتعليمي لأن اللغة هي وعاء العلم والفكر والتفاعل الاجتماعي، وكل اللغات تصلح لذلك. فغالبية دول العالم، مع استثناءات قليلة جداً، تُدرّس العلوم بلغاتها، وهي متطورة علمياً وصناعياً، ولم تهجرها لصالح لغات أخرى، كما هو حال العرب، الذين أهملوا اللغة العربية في العلوم والتدريس، على الرغم من الموارد الغنية التي تتمتع بها معظم الدول العربية وتخولهم استخدام لغتهم وإيلائها قيمة أكبر مما هي عليه الآن. فما أجمل أن يتقن الإنسان كل لغات العالم، وما أسوأ أن يجهل أو يهجر لغته.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، النشر العلمي باللغة العربية، التدريس باللغة العربية، لغة الجامعات العربية، أهمية اللغة العربية، اللغة الإنكليزية في الجامعات العربية، تدريس اللغات، الأنكلشة

Abstract

Countries that seek to have an imprint in the human and scientific history take care of their languages by making them the official languages of educational channels and scientific publications while promoting them at international forums. Semantically and scientifically speaking, there is no language more scientific than another, but it is the interest, economic and scientific advancement and achievements, investment and innovations that make a language to appear more scientific than another. All languages can ultimately be scientific and suitable for the dissemination of scientific findings and thoughts, including the least spoken language when native speakers get involved in. However, nobody can deny the importance of English as a *lingua franca* for business, communication and science, and the need to learn it is undeniable. But there is a difference between learning a language and replacing it with another one. It is good to learn and master as many languages as possible but this should not be done to the expense of native or local languages. There are more than ~ 7000 languages in the world, and English cannot- shouldn't- replace all of them, as language diversity is as important as biodiversity, if not more. With a few exceptions only, most countries in the world teach and publish science in their own languages along with teaching and learning English. In the Arab world, however, scientific institutions and universities did not succeed, neither in adopting English nor in preserving their own language. Instead, indigestible and incomprehensible dialectal mixtures have been born, and many call to replace Arabic with other languages at academic and educational levels to the detriment of Arabic. Publishing science in Arabic is also scarce compared with other languages, less spoken than Arabic.

Keywords: Arab universities, Arab language, science in Arabic, Arabic science archive,

التنوع اللغوي وأهميته

إن تعلم لغة جديدة هو بمثابة شخصية جديدة وتجربة جديدة تخول صاحبها الاطلاع والانفتاح على ثقافات أخرى، وعلى ما تجود به قرائح وعقول المفكرين والعلماء والأدباء شرقاً وغرباً. ولكن أن يتم إلغاء لغة أو استبدالها بأخرى بذرائع وهمية، فهذا ليس من الحكمة بشيء، وليس له أساس علمي أو إنساني، لأن التنوع اللغوي، كما الحيوي، هو أحد أهم خصائص المجتمعات البشرية، وهو ما يعطيها طابعاً جميلاً ومميزاً، لأن اللون الواحد والصنف الواحد والنمط الواحد من كل شيء، شيء مُضَجَّر ومُمِلٌّ، ويدخل النفس في متاهة الرتابة والجمود والسآمة. والتنوع في كل شيء هو أحد مقومات الجمال والمنفعة والنشاط، فالحديقة الغناء يزداد نفعها ونضرتها ورونقها كلما زادت أنواعها وألوانها وثمارها، أما اقتصارها على نوع واحد أو لون واحد أو زرع واحد فيجعلها كئيبة مع الزمن وقليلة الفائدة. وكذلك التنوع اللغوي، فهو مصدر إثراء فكري وعلمي وثقافي وتواصل، حتى أن سماع لغة أو لهجة أخرى له جاذبية ورؤى خاص يدركه من سمع وتعرف على

لغات تختلف عن لغته الأصلية. ولا أحد ينكر أهمية اللغة الإنكليزية كلغة تجسير *franca lingua*، تُسهّل الاتصال والتواصل بين الأفراد من بلدان مختلفة، ولكن أن يتم استبدال الإنكليزية أو أي لغة أخرى باللغات المحلية، فهذا يخالف مبدأ التنوع البشري والحيوي الذي يميز المجتمعات الإنسانية والكائنات الحية بشكل عام. وهناك حوالي 7000 آلاف لغة في العالم، ومن غير المنطقي أن تسود الإنكليزية على هذا الفسيفساء اللغوي العالمي الجميل، لتصبح وحدها اللغة السائدة أو المفهومة أو المتداولة، فيمسي الإرث اللغوي الإنساني ضحلاً، وتتعرض معه لغات وثقافات إنسانية غنية.

ما هي الأنكلشة؟

الأنكلشة (أو "أنكلشة" أو "أنكلشة") هي ظاهرة لغوية عالمية، وعربية بشكل خاص، متعددة الأسباب والأعراض يسببها ضعف الاهتمام اللغوي والثقافي والفكري والعلمي باللغة العربية لصالح اللغة الإنكليزية، ومنه تعبير "أنكلشة" المستخدم هنا بتصرف، مع صيغ الفعل المختلفة، نسبة إلى "إنكلش English"، فيؤدي إلى اعتمادها في كل شيء، وطمس الهوية اللغوية والثقافية المحلية، وتطعيم الكلام بكلمات وتعابير من اللغة الإنكليزية بمناسبة أو بدون مناسبة، كنوع من التثاقف والبهرجة والتفاخر حتى ظهرت لغة هجينة غير مفهومة وغير مترابطة. وتكاد تغطي اللغة الإنكليزية على كثير من لغات العالم، ولكن بدرجات متفاوتة وتبعاً لدرجة تطور البلد. فبعض البلدان تسن قوانيناً صارمة لحماية لغاتها وإعطائها الأولوية في الإدارة والتعليم والإعلام والتدريس والعمل والتوظيف إلخ، ولكن بعضها الآخر أكثر تقاعساً ورخاوة وهشاشة تكاد تكون فيها اللغة الإنكليزية هي المعيار العام والوحيد للنجاح والتدريس والعمل، على الرغم من وجود لغات رسمية محلية غير الإنكليزية. وهذا هو حال كثير من البلدان العربية حيث أن المكانة الأولى ضمناً هي للغة الإنكليزية، بدءاً من المدارس إلى الجامعات، مروراً بالمعاهد والمؤسسات والشركات والمصانع الخاصة والعامة، التي تشجع وتعتمد اللغة الإنكليزية كلغة تعامل وتخابط ومُدَارسَة ومكاتبَة وتوظيف، على الرغم من أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ظاهرياً ودستورياً.

مظاهر وأعراض الأنكلشة

للأنكلشة مظاهر وأعراض عديدة تتجاوز اللغة الإنكليزية إلى لغات ومظاهر لغوية أخرى كثيرة مُشابهة، حسب الشخص والبلد الذي درس أو يدرس فيه دعاة الأنكلشة. فهناك مثلاً ظاهرة "فرنسة"، وهي تبني اللغة الفرنسية والتحدث بها والدعوة إلى استخدامها في الأوساط العلمية والمحلية بدل اللغة العربية، و"الرؤسنة"، وهي التأثر باللغة الروسية والتحدث بها والدعوة إلى استخدامها، و"الألمنة" وهي التباهي باللغة الألمانية والتحدث بها والدعوة إلى استخدامها بدل العربية، و"الصينية" وهي الإعجاب باللغة الصينية والدعوة إلى استخدامها، وقد نرى عما قريب "الكورنة" والأسبنة والبزنتغة والأيطلة والهنگرة... لاعتماد اللغات: الكورية

والإسبانية والبرتغالية والإيطالية والهنكارية تبعاً. لا شك أن تعلم وإتقان لغات مختلفة أمر في غاية الأهمية والفائدة، وهو أمر جيد يستحق التشجيع والتعلم، ولكن هل ينبغي أن يكون ذلك على حساب اللغة الأم، خاصة وأن من يتقن لغته، غالباً ما يسهل عليه إتقان غيرها من اللغات؟ من يستطيع إتقان كل لغات العالم، فذلك أمر جدير بالثناء والإعجاب، لأن اللغات البشرية كنوز معرفية ثمينة، ولكن الجهل باللغة الأم وعدم إتقانها، أمر يدعو إلى الاستغراب، لا سيما في الأوساط التعليمية ولدى أصحاب الشهادات العليا والمؤسسات العلمية والإدارية.

ومن أهم مظاهر وأعراض الأنكلشة البارزة للعيان في الوسط العلمي العربي، ما يلي:

- اعتماد اللغة الإنكليزية في الجامعات العربية، بشكل كلي أو شبه كلي، كلغة عمل وتدريس ونشر علمي وتوظيف إلخ، حتى مواقعها على الإنترنت بالإنكليزية، والعربية هي اللغة الثانوية، إن وجدت أصلاً.
- تصيب الأنكلشة بشكل خاص المتعلمين، أو بالأحرى أنصاف أو أشباه المتعلمين، في مرحلة ما من مراحل تعليمهم الجامعي، أو ما بعده، أثناء مرحلة التحضير لنيل الدكتوراه، فتجعلهم "يتأنكلشون" لغوياً ناكرين قيمة اللغة العربية جملة وتفصيلاً، ومشككين في قدرتها على مجارة العلم، وغالباً ما يطعمون كلامهم العربي أو "شبه العربي" بكلمات إنكليزية بين الفينة والأخرى، كنوع من "التوابل اللغوية" لإعطاء انطباع بأنهم "طباخون" لغويون مثقفون ينتمون إلى "نخبة محظوظة وعبقريّة"، وقد درسوا في مدارس وجامعات "عربية" من حيث المبدأ إلى أن تخرجوا بعمر 23-25 سنة، ثم حصلوا على درجة دكتوراه، خلال 3-8 سنوات، تبعاً للاختصاص، ثم يُصبحون "متأنكلشين" لا يكادون يفقهون لغة آبائهم وأجدادهم، التي كانوا بالأمس القريب لا يعرفون غيرها، قبل أن تحل عليهم بركات وفضائل "المسترة" (درجة الماجستير) و "الدكترة" أو "البهتشة" (نسبة إلى PhD). ولكن بضع سنوات فقط للحصول على دكتوراه تبدو كافية لنسخ ما تعلموه خلال 20 إلى 25 سنة، وتصبح اللغة العربية بنظرهم كخ كخ والإنكليزية بخ بخ. فكيف لو أنهم تعلموا ودرسوا الإنكليزية لأكثر من 5 سنوات وأتقنوها كما يتقنها أبناءها الأقحاح؟ ماذا كانوا سيفعلون عندئذٍ، وكيف سيصفون اللغة العربية؟
- مدير الجامعة و/أو المدرسة لا يتقن العربية، وكثير من أصحاب القرار العلمي واللغوي بشكل عام لا يتقنونها (كثير منهم يتقن الإنكليزية أفضل من العربية)، وهذا ما ينعكس سلباً على نوعية وماهية اللغة المعتمدة في تلك المؤسسات.

- راتب الموظف يتناسب طردياً مع درجة الأنكلشة: كلما كان العامل أو الموظف متأنكلشاً أكثر، كان راتبه أعلى ومكانته أرقى ومنصبه أولى. كما أن التوظيف يعطى بالأولوية لمن يتقن اللغة الإنكليزية، بصرف النظر عن اعتبارات أخرى كالوساطات والمحسوبية والقرابة والوجاهة التي تلغي حواجز الكفاءة والمهارة، إلخ.
- الترفيع أو الترقية والتقييم معظمها مرتبط بالأنكلشة، ومستند إلى ما يُنشر بالإنكليزية دون اعتبار للغة العربية، وكأنها بساط مطوي لا فائدة منه.
- رؤساء ولجان التحكيم والتقييم والترفيه والتوظيف وأصحاب القرارات الإدارية والمصادقة عليها لا يتقنون العربية في معظم الأحيان. ومن وحي تجربة شخصية، أرسلت منذ عدة سنوات مقترحات مشاريع بالعربي إلى بعض المتأنكلشين العرب، فكانوا يحولونها إلى مسؤولين لا يتقنون العربية ليقيموا مشروعاً بالعربي! ومن المفارقات المضحكة المبكية أيضاً، أنني أرسلت مرة مقترحاً إلى مسؤول في إحدى الجامعات العربية، وكان يبدو من اسمه أنه غير عربي ولا يجيد العربية، لذلك كتبت إليه بالإنكليزية للاستفسار عن إمكانية التعاون على مشروع لتخفيف التلوث البيئي في المدن العربية، ولكن لم يرد على الاقتراح، فاستغربت من عدم رده لأنه كان ناشراً إعلاناً عن ذلك لتلقي أي مقترحات، فقررت أن أرسل إليه مرة أخرى ولكن باسم أجنبي هذه المرة، فكانت المفاجأة أنه رد سريعاً وإيجاباً وترحيباً، فقط لأن الاسم كان أجنبياً!
- المناهج التعليمية في كثير من المدارس و/أو الجامعات العربية هي باللغة الإنكليزية، والنظام التعليمي فيها نسخة طبق الأصل عن مدارس وجامعات خارجية، جزئياً أو كلياً، حتى إعلانات التوظيف والمسؤولين عن التوظيف لا يتقنون العربية، لذلك سيختارون غالباً مرشحين لا يتقنون العربية أيضاً، مما يكرس حالة الأنكلشة أكثر فأكثر.
- إصدار وثائق التخرج بالإنكليزية، حتى حفلات تخرج بلباس وهيات وطقوس "فلكلورية" نسخة طبق الأصل عن جامعات أجنبية ممن تأثر بها دعاة الأنكلشة، وكأن من لا يلبس عباءة وقبعة من لون وطرز معين لا يستطيع النجاح واستلام وثيقة تخرج. يمكن أن يكون مفيداً إصدار وثائق التخرج بلغة أجنبية لمن يتابع دراسته في الخارج، ولكن على الأقل احترام لغة البلد وإصدار وثائق التخرج بلغتين (عربية وإنكليزية) بدل الاختصار على الإنكليزية فقط.

- كتابة الكلمات العربية بحروف أجنبية وكتابة الكلمات الأجنبية بحروف عربية (وليس استخدام المعاني المترجمة)، أو استخدام أرقام بدلاً من الحروف ضمن كلمات عربية.
- كثير من المتأنگلشين العرب ممن درّسوا العربية كطلّاب ودرّسوها كمُعَلِّمين، وبعد أن تحلّ عليهم بركات "البهتشة" والأنگلشة، لا يتحدثون إلا بالإنگليزية، ولا يكتبون إلا بها، ويتفاخرون بجهلهم باللغة العربية. ومن وحي تجربة شخصية أيضاً، راسلت منذ فترة بعض "بهاتشة" العرب (جمع تكسير لـ PhD)، ولم أكن أعرف في البداية أنهم كانوا متأنگلشين إلى ذلك الحد، فكنت أكتب إليهم بالعربي، باستخدام لوحة مفاتيح ليس عليها حروف عربية، لذلك كان الأمر صعباً نوعاً ما، ولا يزال في الحقيقة، لأنني لا زلت أكتب بلوحة مفاتيح ليس عليها حروف عربية، وكانت تأتي معظم الردود بالإنكليزية، وأنا أكتب إليهم بالعربي، علماً أن الكتابة بالإنكليزية أسهل لي تقنياً وعلمياً لأن لوحة المفاتيح التي أكتب بها لا تدعم اللغة العربية تماماً، ولأنني أتقن الإنكليزية بما يكفي للتواصل مع "متأنگلشين" مُقلِّدين أو أصليين.
- ومن المظاهر الأخرى للأنگلشة هي تخصيص بعض الجامعات العربية ميزانية كبيرة مكرسة لـ "تحسين السمعة" خارجياً والبحث عن "أجانب مشهورين" أو "معروفين بكثرة التأليف وعدد الاقتباسات"، وإغرائهم بالانضمام إليها، ولو جزئياً (زيارة قصيرة أو اثنتين في العام) برواتب مجزية لإقناعهم بربط انتاجهم بتلك الجامعات، وما ينتج عن ذلك مما يشبه "الانتساب المهني الأخطبوطي" octopus affiliations حيث يربط الكاتب مؤلفاته بأكثر من جامعة أو مؤسسة للمساهمة في زيادة ترتيبها في أنظمة التصنيف الجامعي، التي تعتمد بشكل رئيس على الاقتباسات والنشر في مجلات ذات معامل تأثير مرتفع، وهذه بدورها (عدد الاقتباسات ومعامل التأثير) هي معايير سطحية تحيُّرية، وغير علمية المنهج ولا النتيجة (راجع إعلان سان فرانسيسكو لتقييم البحوث: <https://sfdora.org/read>) و: the disaster of the impact factor (Moustafa, 2015)، لذلك فإن أي تصنيف يعتمد عليها هو تصنيف غير علمي ولا موثوق، لأن ما يُبنى على باطل أو زائف فهو زائف. ويتضح من الهوس بالتصنيف الجامعي وبالسمعة الخارجية لدى بعض الجامعات العربية أن هدف تلك الجامعات هو تحسين صورتها للخارج فقط، لكي يُقال إن الجامعة الفلانية تظهر في التصنيف الفلاني أو في المرتبة كذا إلخ، وليس لبناء جامعات قوية ومجتمع معرفي داخلياً. يمكن أن يُفهم هذا الهوس بالتصنيف لدى الجامعات التجارية الرأسمالية، التي تعتمد على رسوم تسجيل باهظة، حيث أن التصنيف يُدرّ عليها أرباحاً كبيرة لأنه يُغري كثير من الطلاب المخدوعين بدورهم بالمظاهر والأبهة للتسجيل فيها، فيزداد رصيدها المادي. أما

الجامعات العربية فمعظمها جامعات عامة ومجانية (وهذه ميزة كبيرة بالمناسبة) ولكن مستواها في تقديم برامج ومعلومات علمية لا يغري كثير من الطلاب للالتحاق بها ودفع رسوم تسجيل باهظة لتحقيق أرباح تبرر أو تعوض الأموال التي تنفق على التصنيف. وقد أصبح التصنيف الجامعي "تجارة علمية" لها أساليب خاصة، بالاعتماد على موظفين متخصصين لتلك الغاية، برواتب مُجزية، يعملون على إغراء بعض المشاهير للانضمام إليها وزيادة تصنيفها، كما يفعل مشاهير الإعلانات لإغواء المستهلكين والزبائن بشراء منتج ما بإظهار محاسنه وحجب مساوئه، علماً أن تخصيص ميزانية مرتفعة لمجرد الظهور في تصنيفات عبثية هنا وهناك هو هدر مالي كبير، لو تم استخدام مخصصاته لتحسين جودة التعليم ورفع سوية الطلاب من خلال التدريب والتمرين المستمر، وتوظيف عاطلين عن العمل من خريجي تلك الجامعات، لكان أفضل من إنفاق المال العام والخاص على تصانيف رأسمالية هدفها في نهاية المطاف هو الربح والتجارة المشوبة بالفساد وهدر مالي غير مبرر، لأن تصنيف جامعة من عدمه لا يعني الشيء الكثير، عندما تكون الجامعات تُدرس بجدية وتُخرج طلاباً أكفاء يساهمون في إيجاد حلول علمية وعملية للمشاكل الموجودة بيئياً وصحياً وزراعياً. كما أن هدف الجامعات بالأساس ليس التفاخر والتباهي والترفع على عرش تصنيفات مادية، خاصة وأن طرق التصنيف وبياناتها غير دقيقة وغير معروفة تماماً وغير متاحة، مما يجعل نزاهتها ودقتها موضع شك وارتياب. وإنما هدف الجامعات هو التعليم ونشر المعرفة وتكوين مجتمع معرفي يقدم حلولاً تناسب الواقع الذي توجد فيه تلك الجامعات، وليس للتسابق على مراكز وهمية لا تستفيد منها إلا الجامعات الرأسمالية (التي تعتمد على الرساميل ورسوم التسجيل الباهظة). ولو أن الأموال التي تُهدر على التصنيف الجامعية بشكل مباشر أو غير مباشر تُستثمر في تحسين وتطوير المستوى التعليمي والمهني لتلك الجامعات، وإيجاد فرص عمل وتشغيل عاطلين عن العمل من خريجي تلك الجامعات اللاهثة خلف التصنيف، لكان أفضل لها وللمجتمع وللطلاب الذين تخرجهم، لأن الأموال التي تنفق على التصنيف، بمبالغ كبيرة بأشكال مختلفة (رشاً وحفلات ومفاوضات ومساومات ملتوية تجري بعيداً عن الأنظار)، تكفي لتوظيف الآلاف من الخريجين، وتحسين وتطوير التعليم الجامعي ورفع مستواه.

- ومن مظاهر الأنكلشة أيضاً تخصيص التعليم الأساسي وفتح جامعات خاصة مدفوعة أو تحت مسميات مختلفة (تعليم موازي أو مفتوح أو مدفوع إلخ) والدفع لجامعات غربية وإغرائها بفتح فروع محلية برسوم تسجيل باهظة ومناهج دراسة أجنبية، غالباً للبهجة والأبهة وللتباهي والتفاخر والمُرابحة، وليس

لنشر العلم والمعرفة، فينشأ الطالب منفصلاً عن واقع مختلف عما يتعلمه في الجامعة الأجنبية الخاصة. بمعنى آخر، هناك عقدة نقص واضحة وعجز عن مجارة تيار العلم بكوادر محلية وأسماء محلية، ومناهج محلية، فيتم استيراد كل شيء، حتى أسماء الجامعات والمدارس ومناهجها، ظناً أن ذلك هو مفتاح التطور والتقدم، علماً أن الجامعات الأجنبية الخاصة يمكن أن تغلق أبوابها في أي لحظة، وتبقى أطلالاً خاوية على عروشها (كونها تعتمد على الرسوم، لذلك فإن أي خلل أو عجز في قدرة الطلاب على دفع الرسوم سيجعلها خاوية). ليس هناك أدنى شك في أن التعاون العلمي بين الأمم أمر جيد ومرغوب، ولكن ما يجري في الوسط العلمي العربي ليس تعاوناً وإنما تقليداً فاشلاً وإلغاءً تاماً أو شبه تام للغة العربية في الأوساط العلمية العربية.

- من مظاهر الأنكلشة أيضاً تقديس كل ما هو أجنبي أو مكتوب بالأجنبي، واحتقار أو ازدراء ما هو عربي أو مكتوب بالعربي، ومن واقع تجربة شخصية:

- اقترحت على سبيل المثال شراكة للأرشيف العربي العلمي مع بعض الجامعات والمؤسسات العربية لأنني أنشأت المشروع كمبادرة فردية دون أي دعم مؤسسي أو مالي، ولم يُدو اهتماماً، ولكن بعد فترة قصيرة دعموا مشاريعاً أخرى مشابهة باللغة الإنكليزية، علماً أن الأرشيف العربي العلمي يقدم خدمات أفضل مما تقدمه المشاريع التي دعموها، ولكن على ما يبدو أن المنتجات أو الأسماء الأجنبية لها جاذبية خاصة عند المتأنكشين العرب. وهذا قد يعود إلى معرفة المتأنكش العربي لنفسه بعدم الكفاءة والمهارة، فيظن أن كل ما عربي مثله هو غير ماهر وغير كفؤ. وهذا يعكس أيضاً خللاً كبيراً، مهنيًا وأخلاقياً، خاصة إذا كان الشخص في موقع قرار أو موقع إدارة يقرر فيه لوحده بناءً على شعوره بعقدة النقص تلك، فتكون نتائج قراراته كارثية، بوضع الشخص المناسب في المكان غير المناسب أو بتفضيل شخص على آخر أكثر كفاءة منه، أو مشروع على آخر أكثر فائدة، أو بإقرار أو إصدار سياسات خاطئة وضارة لغوياً وعلمياً ومهنيًا إلخ. وهذا المثال لا يبين فقط مدى الاستهتار باللغة العربية، وإنما أيضاً غياب أبسط القواعد الأخلاقية والمهنية في الوسط العلمي العربي بسرقة أفكار الآخرين وعدم الاكتراث واللامبالاة، وكأنه أمر طبيعي وعادي! وهذه لوحدها معضلة حقيقية تحتاج إلى "ورش" عمل كثيرة، وإدخالها في المناهج التعليمية والدورات التدريبية للتقليل من نسب حدوثها وتعزيز النزاهة لأن سرقة أفكار الآخرين لا تليق بمن يفترض به أن يكون عالماً أو متعلماً.

- ومن مظاهر التقديس التي خبرتها من واقع تجربة تهافت كثير من المتأنكشين العرب إلى النشر والإعجاب بمنصات أجنبية، مشابهة للأرشيف العربي العلمي، وعدم الاكتراث للأرشيف العربي العلمي لأنه عربي، علماً أن شعبية بعض المقالات المنشورة تتجاوز آلاف التنزيلات مما يدل على ضعف واعوجاج منطق هؤلاء لأن الأرشيف العربي يقدم خدمات لا تقل جودة عما تقدمه المنصات الأخرى المشابهة، ولكن مستوى الأنكلشة يبدو قوياً لديهم ولا يجاريه شيء آخر. وكمثال عملي على ذلك، بعض المتأنكشين (العرب) اعترض على فكرة مشروع الأرشيف العربي العلمي في حين أنهم ينشرون في منصات أخرى مشابهة تماماً باللغة الإنكليزية، علماً مرة أخرى أن الأرشيف العربي يستخدم أحدث معايير النشر المباشر ويُقدم خدمات لا تقل، إن لم تزد، عما تقدمه منصات أخرى بالإنكليزية. ولكن داء الأنكلشة يبدو مستقلاً عند هؤلاء، فيجعلهم لا يرون ولا يتقنون إلا بما هو أجنبي. والمصيبة أن بعض هؤلاء مدرسون في جامعات، وبعضهم لا يعرف معنى وأهمية خوادم النشر المباشر، وليس لديهم أي رصيد علمي لا بالإنكليزي ولا بالعربي، سوى مجموعة كبيرة من المتابعين على وسائل "التواصل الاجتماعي"، فصدقوا أنفسهم أنهم من "المؤثرين" (وكثير منهم في الحقيقة هم من المُعلنين المدفوع لهم لإشهار منتجات وبضائع استهلاكية) ولا يعلمون أن من يَدْرُس ويخترع شيئاً جديداً ويعطيه اسماً أو وصفاً أو نفعاً، فإن العالم كله سيستخدمه، غالباً بنفس الاسم الذي يخترعه صاحبه، حتى لو كان اسماً خيالياً أو عربياً. فعندما (أبدع) العرب مثلاً في صناعة "الفلافل والتبولة"، أصبحت هذه المفردات مشهورة ومعروفة في مختلف أنحاء العالم، ودخلت قواميس اللغات الأخرى بأسمائها العربية^{1,2,3,4}. ولو أن المتأنكشين العرب اخترعوا دواءً لمرض "الكوفيد" مثلاً، وسموه "شفاكوفيد" covid-cure، أو للسرطان وسموه "شفاسرطان" (دمج كلمتي شفاء وسرطان) لاضطر العالم لاستخدام هذا الدواء باسمه العربي (أو ترجموه إلى لغاتهم المحلية، فيصبح مثلاً بالإنكليزية cancer-cure ولو أنهم اخترعوا آلات للصعود إلى الشمس أو القمر وسموها "مِشّاس" أو "مِقْمَر" لاضطر العالم أيضاً إلى استخدام هذه التعبيرات بالعربية أو ترجموها إلى لغاتهم عند استيراد تلك الآلات من مصنعها العرب!

¹ <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/falafel>

² <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/falafel>

³ <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/tabbouleh>

⁴ <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/taboule>

- اقترحت بعض المشاريع الأخرى التي أحسبها مهمة إلى بعض المتأنگلشين العرب، ولكن بعد فترة قصيرة رأيت أنهم اشتغلوا عليها مع أجانِب، معتقدين أن مثل تلك التصرفات حنكة وذكاء وليس سرقة علمية وفكرية لا تليق بمن يفترض به أن يكون عالماً ونزيهاً، وسأخصص لذلك مقالة أو مقالات مُفصلة مُدعّمة بالتواريخ والأسماء والأدلة.

أسباب الأنكشة

للأنكشة أسباب كثيرة متشابهة ومعقدة، تتراوح ما بين عوامل شخصية إلى عوامل إدارية وسياسات تعليمية، مروراً بعوامل اجتماعية أو مجتمعية واقتصادية وتقنية، إلخ:

- عوامل إدارية: غالباً ما تتعلق بالسيادة والاستقلال اللغوي، فكلما كان هذا الشعور ضعيفاً كان الاهتمام باللغة المحلية ضعيفاً، والعكس بعكسه. ويظهر ذلك جلياً في قرارات وزراء التعليم والتربية ومدراء المدارس ورؤساء الجامعات والمعاهد العلمية والتعليمية، إلخ حول الأهمية والمكانة التي تُعطى لهذه اللغة أو تلك، والنتيجة هي قلة الاهتمام باللغة العربية في المؤسسات العلمية والتعليمية. ويرى كثير من أصحاب القرار الإداري أن أي مشروع مقترح من قبل اسم أجنبي أو مكتوب بلغة أجنبية (كالمناهج الأجنبية أو مقالات باللغة الإنكليزية) هي جديرة بالثقة والمصادقية، وأن أي مشروع أو مقترح من قبل شخص عربي أو مكتوب باللغة العربية (مثل المناهج باللغة العربية أو مقالات باللغة العربية) غير جديرة بالثقة، وهذا عائد إلى أزمة كفاءة وثقة لدى من يظن تلك الظنون، لأن الفاشل يشعر أن من يشبهونه اسماً أو أصلاً سيكونون فاشلين مثله، فيكون ظنه في الناس مثل ظنه في نفسه، حيث أن شعوره الداخلي بالفشل يجعله مقتنعاً (عن باطل) بأن كل مشروع أو فكرة أو عمل أو مقالات عربية أو منهاج تدريس بالعربي، هي مشاريع فاشلة لأن أصحابها عرب مثله يُشاركونه اللغة أو البلد أو الاسم. وبالمقابل، إذا كانت هذه الأشياء معمولٌ بها أجنبياً أو مطروحة من قبل أجانِب أو مؤسسات أجنبية، فإن صاحب القرار الإداري العربي، المتأنگلش، سيرحب بها مغمض العينين.

- عوامل أو ظروف شخصية تتعلق باهتمام الشخص باللغة أو اللغات، ومدى إتقانه للغات الأجنبية واللغة الأم. فالطالب الذي ينشأ في عائلة متأنگلشة، قد يكون بدوره متأنگلشاً إلى حد كبير، في مدرسته وجامعته. وكذلك الأنا وحب الظهور والغرور لهما نصيب كبير في انتشار ظاهرة الأنكشة، للتباهي بمعرفة لغة أجنبية، تماشياً مع فكرة أن غيره قد لا يعرفها أو أنه يعرفها أفضل من غيره، فيحاول إظهار

ذلك والتفاخر به في كل مناسبة، وكأن معرفة لغة ما أو إتقانها هي مبرر أو مصدر فخر أو تكبر وخيلاء، وليس مصدر تواضع وانفتاح.

- مدارس وجامعات خاصة: يلاحظ وجود قاسم مشترك بين من يدعون إلى هجر اللغة العربية علمياً، هو أنهم غالباً ما يدرسون في مدارس أو جامعات خاصة، لا تُدرّس فيها اللغة العربية، أو تُدرّس ولكن كلغة ثانوية أو هامشية لا تؤخذ بالاعتبار حتى في نجاح أو رسوب الطالب. لذلك ينشأ الطالب في مثل هذه الحالات "كارهاً" للغة العربية وغير متقن لها، أو مستصعباً لها في أحسن الأحوال، وداعياً إلى استبدالها بلغة تتوافق مع أهوائه ورغباته وإتقانه لها، لأن قريبه أو صديقه أو جاره درس وتعلم لغة أجنبية، فيريد أن يتباهى مثله كيلا يكون أقل شأنًا وتحصيلاً، وإذا أصبح في منصب قيادي وإداري، فسيكون من المطالبين بدوره بالتدريس والنشر العلمي باللغة الأجنبية التي درسها أو يتقنها، لتصبح لغته المفضلة للحديث مع أقرانه والكتابة والنشر العلمي إلخ.

- عدم إتقان اللغة العربية لدى القائمين على سياسات التعليم والمؤسسات العلمية والجامعية، وضعف الثقة بها وربط التقدم التقني والضجيج العلمي وكثير من التطورات "الباهرة" ظاهرياً (والضارة فعلياً وبيئياً في كثير من جوانبها) باللغة الإنكليزية، وكأن اللغة هي من صنعت تلك المنتجات وليس أصحابها. وقد يصل الحال بكثير من المتأنكّلشين العرب إلى ربط حتى جمال الطبيعة والأمطار والخضرة ونظافة المدن والشوارع باللغة الأجنبية، فيعتقدون أن جمال الطبيعة وخضرة الأشجار والزرع ولوان العيون والبشرة هي بسبب اللغة الإنكليزية! وأن الكتبان الرملية والعواصف الغبارية هي بسبب اللغة العربية، علماً أن الرمال والصحراء والسمرة هي أيضاً مظاهر جمالية رائعة لغير المتعودين عليها! وفي الوقت الذي بدأت فيه كثير من الدول المتطورة إعادة التفكير في أساليب التطور، وتعريف التقدم وخفض الاستهلاك المادي والحفاظ على المصادر الطبيعية، وابتكار أساليب جديدة أكثر استدامة، لا يزال كثير من العرب منبهرين ومستهلكين نهمين ومعجبين إلى درجة "التقديس" بكل ما ينتج في الغرب أو الشرق، حتى لو كانت منتجات ضارة بالبيئة والصحة بدأ الآخرون بالتخلي عنها لصالح منتجات أكثر احتراماً للبيئة. بالإضافة إلى ذلك، قلة الكفاءة اللغوية والمنهجية وانعدام الاهتمام باللغة العربية لدى كثير من مقرري السياسات العلمية للجامعات والمؤسسات التربوية والتعليمية، وكثير منهم يتقن الإنكليزية أفضل من إتقانه للغة العربية، فيختارون الحل الأسهل وهو تقليد جامعات ومدارس أجنبية دون بذل أي جهد

نحو استخدام اللغة العربية وتعزيز دورها كوسيط للعلم والنشر والفكر في مجتمع عربي لا يعرف اللغات الأجنبية.

- كثير من المتأنگلشين العرب يظن أن التحدث بالإنكليزية هو صك ثقافة رفيعة وعلو مقام ورفاعة شأن، لذلك لا يتركون مناسبة إلا ويظهرون ذلك، للتقليل من شأن اللغة العربية، في كل مقام ومقال، في حين أنه لا ذنب للغة العربية في تخلف العرب وضعف إسهاماتهم العلمية والتقنية.
- أحد الأسباب الرئيسية للأنكلشة على مستوى عالمي هو كون اللغة الإنكليزية لغة العلم والمال والسياسة والاقتصاد والتقنية، إلخ، وهذا لا ينكره أحد، فقد أصبحت اللغة الإنكليزية لغة مشتركة أو "لغة قُنْطَرِيَّة" أو "جسرية" *franca lingua*، وأن انتشارها الواسع ساعد على نشوء لغة وسيطة مُبسَّطة سميت "گلوبش" *globish* كنسخة مُسهَّلة من الإنكليزية العالمية (*global English*). وهذا أمر جيد أن يكون هناك لغة تواصل عالمية، يفهمها كثير من الناس، ولكن، هذا لا يتعارض مع الحفاظ على اللغات المحلية، وتدریس العلوم بها والنشر العلمي بها، توازياً مع تعلم الإنكليزية، واحترام اللغات المحلية. فمعظم بلدان العالم، تدرس العلوم بلغاتها الأم وتنتشر العلوم بها، وتسن قوانيناً لحماية لغاتها من التثويهِ في وسائل الإعلام والتعليم، برفع سوية الطلاب والمعلمين والصحفيين والتلاميذ بدءاً من المراحل الابتدائية إلى الجامعية. وهناك بلدان كثيرة تدرس العلوم بلغاتها الأم، في كل المراحل ومع ذلك هي متطورة علمياً وتقنياً (مثل ألمانيا، اليابان، فرنسا، كوريا الجنوبية، إلخ)، وبلدان كثيرة تُدرِّس العلوم باللغة الإنكليزية (ومنها بلدانٌ عربية)، ولكن ذلك لم يجعل منها دولاً متطورة تقنياً وعلمياً، مما يدل على أن مشكلة التخلف العلمي والتقني ليست لغوية وإنما إدارية وإرادية.

علاج الأنكلشة

عندما يُعرف السبب يسهلُ إصلاح العطب، على الأقل نظرياً. ولكن علاج ظاهرة الأنكلشة عربياً يبدو صعباً وسهلاً في آن معاً. فهو سهل، إذا توفرت الإرادة والإدارة الناجحة والحريصة على اللغة العربية لتفادي أسباب هجرها في الأوساط العلمية والتعليمية. ولكنه صعب في ظل غياب الإرادة وبقاء القرار بأيدي من لا همَّ لهم إلا وجاهة المنصب وبريق المال. وفيما يلي بعض مقومات وعوامل علاج الأنكلشة، على سبيل المثال لا الحصر:

- وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، خاصة من الحريصين على اللغة العربية والمتقنين لها، وهذا مبدأ معروف عالمياً (وضع الشخص المناسب في المكان المناسب) ولكنه نادر التطبيق عربياً.

- جعل اللغة العربية رسمية في الجامعات العربية وإعادة الاعتبار لها في الأوساط التعليمية بدءاً من الابتدائية حتى الجامعية، في مختلف التخصصات والفروع.
- جعل اللغة العربية الشرط الرئيس في الإدارة والمناصب القيادية والإدارية والتنفيذية المخول أصحابها بإصدار القرارات وتنفيذها ومتابعتها.
- اشتراط إتقان اللغة العربية في التوظيف والنشر العلمي وجعل اللغة العربية المعيار الأول والرئيس، أو على الأقل أحد المعايير الرئيسة لذلك، وربط الترفيعات المادية والوظيفية بإتقان اللغة العربية، وإعطاء الأولوية لمن يتقنها. وإلا ما هي نتائج ما ينشره العرب (والأجانب العاملون في الجامعات العربية) باللغة الإنكليزية؟ ماذا حققت الدراسات والأوراق العلمية التي نشرها وينشرها أصحابها العرب باللغة الإنكليزية على أرض الواقع العربي، حتى تلك التي ينشرونها ويتباهون بها في "أفضل" أو أشهر المجالات الإنكليزية؟ هل حلت أو ساهمت في حل مشكلة أو معضلة بيئية أو صحية أو زراعية أو اجتماعية في البلاد العربية مما لا يمكن حله لو أنها كانت مكتوبة ومنشورة باللغة العربية؟ هل حسنت أعمال العرب المنشورة بالإنكليزية من مستوى الجامعات العربية أو من طريقة عملها أو طريقة عمل علمية موجودة أو اقترحت بدلاً أفضل مما هو موجود أو اقترحت حلاً ناجعة أو قابلة للتطبيق في البلاد العربية على المدى المتوسط أو البعيد؟ كثير من المتأنكشين العرب يستمر بالعمل على مشاريع مرحلة الدكتوراه، مما قد لا يضمن ولا يغني من جوع في البيئة العربية، ولا يلائم المتطلبات المحلية، أي بدون فائدة كبيرة على المجتمع والبيئة المحيطة، ويستمر بالنشر بالإنكليزية، ولكن ما هي فائدته الحقيقية؟ ولماذا لا يكتبون وينشرون بالعربي إذا كانوا يعملون في جامعات عربية، أو على الأقل ترجمة أعمالهم إلى العربية ليفهمها القراء العرب في المجتمع الذي يعيشون فيه، خاصة وأن نسبة كبيرة من المجتمعات العربية لا تعرف الإنكليزية؟
- جعل التعليم بدءاً من المراحل الأساسية حتى الجامعية حقاً متاحاً للجميع ومجاناً، وليس للأغنياء فقط، الذين لهم القدرة على الدفع والدراسة في مدارس وجامعات خاصة، لأن هذه القنوات الرأسمالية تحوّل قطاع التعليم إلى مجرد "تجارة تعليمية"، تدخل فيها قوانين السوق والربح والجشع، واحتمالات الغش والتلاعب فيها كبيرة لزيادة هوامش الأرباح دون اهتمام بنوعية المناهج وكفاءتها. وفي الوقت الذي بدأت فيه كثير من الدول المتقدمة بمراجعة سياساتها التعليمية والاقتصادية الضارة بالبيئة وبالموارد

الطبيعية، يلهث كثير من العرب إلى استيراد ما تحاول تلك الدول تغييره واستبداله بأنظمة أكثر عدالة واستدامة.

- بعض الجامعات والمؤسسات العربية تخصص ميزانيات ضخمة، من عشرات إلى مئات الألوف من الدولارات سنوياً للاشتراك في مجلات إنكليزية أو دفع رسوم مقالات في مجلات المدخل المفتوح "open access" بتكاليف باهظة، غالباً من أجل التباهي والتفاخر بالنشر باللغة الإنكليزية. وإذا كان العرب عاجزون حالياً، وهم أغنياء مادياً، عن استخدام لغتهم في جامعاتهم وعلى تدريس العلم بها والنشر العلمي بها، فمتى يستطيعون ذلك؟ هل عندما يفقرون ولا أحد يقبل العمل لديهم أو بشروطهم؟ معظم الدول العربية الآن غنية بالموارد الطبيعية، وكثير من الموظفين يتقاضون رواتب مجزية، فهل تتناسب رواتبهم مع إنجازاتهم ومنشوراتهم بالعربي؟ يذهب كثير من العرب إلى البلدان الأجنبية، فيتقنون لغاتها ويبدؤون بنشر مقالاتهم بها، وهذا شيء جيد ويستحق الشكر والإعجاب والتشجيع، ولكن عندما يعودون لا يحاولون تطبيق ما تعلموه للنشر باللغة العربية، وإنما يستمرون على نفس النهج في النشر بالإنكليزية والدعوة إلى استخدامها بدل العربية والاستمرار بالعمل على مشاريع لا تهم الواقع المحلي. وفي بعض الدول العربية يندر الحديث باللغة العربية في أروقة الجامعات والمؤسسات أو الشركات العامة والخاصة. يمكن أن يفهم ذلك في البداية لمن يلتحق بجامعة عربية حديثاً ولا يتقن العربية، ولكن لماذا لا تحاول تلك الجامعات تشجيع من يعملون فيها على تعلم وإتقان اللغة العربية، كما هو الحال مع من يدرسون في الجامعات الأجنبية التي تشترط إتقان لغة البلد، وإبراز وثائق تؤكد معرفتهم بها (مثل اختبارات توفل TOEFL للإنكليزية، و ديلف و دالف DELF and DALF للفرنسية، TESTDAF للألمانية إلخ)؟ ألم يضطر المتأنگلشون العرب أنفسهم إلى تعلم لغة البلد الذي درسوا فيه؟ فلماذا لا يحاولون تطبيق نفس المبدأ على من يعمل في جامعاتهم أو على الأقل مساعدتهم على تعلم اللغة العربية والنشر العلمي بها؟ هناك بلدان صغيرة بحجم هولندا أو الدانمارك ولكنها تنشر العلم بلغاتها الأم في السنة، أكثر مما تنشره الدول العربية مجتمعة خلال عقود.

وأخيراً، لا أحد ينكر فضل وأهمية اللغة الإنكليزية وتعلمها، كلغة عالمية لتسهيل التواصل بين الشعوب، وشيء جميل أن يتم إتقانها ومعرفتها، وإتقان أي لغة أخرى من لغات العالم، ولكن ليس من المنطق علمياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً وإنسانياً أن تسود أو تُستبدل لغة ما باللغة الإنكليزية أو غيرها، مهما كانت الدواعي والأسباب، لأن التنوع اللغوي، مرة أخرى، كما هو التنوع الحيوي، هو سمة مهمة من سمات المجتمعات

البشرية. وعلى المستوى البيئي، هناك جهود كبيرة ومحميات طبيعية لحماية بعض الحيوانات والنباتات من الانقراض والاندثار، وبنفس المنطق والاهتمام ينبغي أن تكون هناك جهود مماثلة لحماية اللغات من الانقراض وعدم استبدال لغة بأخرى، وتشجيع كل شعب على استخدام لغته والحفاظ عليها. وفي ظل التطورات التقنية والتعليمية والهواتف المحمولة والتطبيقات اللغوية الكثيرة اليوم، فإنه من السهولة بمكان إتقان أكثر من لغة، وتعليم أكثر من لغة، وليس محو لغة لصالح أخرى. فما أجمل أن يتقن الإنسان كل لغات العالم، إن استطاع، وما أقبح أن يجهل أو ينكر أو يحتقر لغته ولغة آبائه وأجداده.

ومن المفارقات الواضحة أن اللغة العربية هي إحدى اللغات الخمس الأكثر انتشاراً في العالم، ولكن مكانتها العلمية والفكرية لا ترقى إلى مستوى انتشارها عالمياً وعدد المتحدثين بها، ولا إلى مرونتها اللغوية والاشتقاقية التي تُحوّلها استيعاب مصطلحات العلوم الحديثة، وتدريسها في الجامعات العربية. ولتحقيق ذلك، لا بد من إرادة حقيقية بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وجعل اللغة العربية إحدى الشروط المهمة لتولي المناصب الإدارية والتدريسية والتوظيف والعمل في الجامعات العربية، أسوة بما تفرضه الجامعات والمؤسسات الأجنبية على من يتعلم ويعمل فيها.

References

مراجع

San Francisco Declaration on Research Assessment: <https://sfdora.org/read/> accessed 15 July 2020.

Donn, G., & Al Manthri, Y. (2010, May). Globalisation and higher education in the Arab Gulf States. Symposium Books Ltd.

Donn, G., & Al Manthri, Y. (Eds.). (2013, May). Education in the Broader Middle East: borrowing a baroque arsenal. Symposium Books Ltd.

Mahmoud, A. A. (2008). Challenges facing the privatization of higher education in the Arab World. In Higher Education in the Twenty-First Century (pp. 31-36). CRC Press.

Moustafa, K. (2018). "Promoting an academic culture in the Arab world." *Avicenna J Med* 8(3): 120-123.

Moustafa, K. (2016). "Aberration of the Citation." *Accountability in Research* 23(4): 230-244.

Moustafa, K. (2015). "The disaster of the impact factor." *Sci Eng Ethics* 21(1): 139-142.

Moustafa, K. (2020) Octopus affiliations. *Scientometrics* (2020). <https://doi.org/10.1007/s11192-020-03600-8>

Romani, V. (2009). The politics of higher education in the Middle East: Problems and prospects. Middle East Brief, Brandeis University Crown Center for Middle East studies.

Skutnabb-Kangas, T., & Heugh, K. (Eds.). (2013). Multilingual education and sustainable diversity work: From periphery to center. Routledge.